

(سلسلة خطب الجمعة)

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ

بتاريخ [.....]



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخطبة بعنوان:

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [الإسراء: 111]. الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحيي ويميت، ويعز ويزل، ويكرم ويهين، ويخفف ويرفع، إليه المنتهى في الأمور كلها، خزائن كل شيء بيديه، ومنتهى الأمور كلها إليه، فعال لما يريد، يقضي بما يشاء، إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وأغنى وأقنى، ورفع وخفض، وأعز وأذل، وأكرم وأهان، وأغنى هذا وأصاب هذا بالفقر، يرد غائبًا، ويفك عانيًا، ويشفي سقيمًا، سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالة حق البلاغ، فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الأمين وعلى آل بيته أفضل صلاة وأتم تسليم، نسأل الله أن يؤتية سؤله وأن يبعثه مقامًا محمودًا الذي وعده، اللهم آمين.

إخواني -بارك الله فيكم-، تعلمون أننا عبيد لله، وهذا الفارق بيننا كمسلمين رضيانا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا وبين غيرنا، فنحن رضيانا بأن نكون عبيدًا لله، وغيرنا رفضوا أن يُعبدوا أنفسهم لله مع أنهم عبيد له قهراً يقضي فيهم بما يشاء، ويفعل فيهم ما يريد، فنحن كمسلمين رضيانا بأن نكون عبيدًا لله، رضيانا بأن يكون الله ربنا، وأن يكون الإسلام ديننا، وأن يكون النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- رسولًا إلينا، فأقررنا بعبوديتنا، ومن مقتضيات هذه العبودية أننا لا نتكلم كيف شئنا، ولا ننظر كيف شئنا، ولا نستمع لما شئنا، بل نتكلم بالشيء الذي يرضي ربنا علينا، ليس من حقنا أن نكون بذناء، وليس لنا أن نكون من سيئي الأخلاق، وليس لنا أن نعبت بكلام فيه طعن واغتياب في المؤمنين والمؤمنات، بل ألزمتنا بقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]. ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: 53]. «الكلمة الطيبة صدقة». ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (24)﴾ [الحج: 24]. ليس من حقنا أن ننظر كيف شئنا فإن ربنا قال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)﴾ [الإسراء: 36].

فجوارحنا معبدة، قلوبنا معبدة، أسماعنا وأبصارنا معبدة، لساننا معبد لربنا، كذا اختياراتنا إذا عُرض علينا أي اختيار فليس لنا أن نختر ما شئنا إلا بعد النظر إلى مراد ربنا منا، ما الذي يريده الله منا، ليس من حقي أن أختار كيف شئت، ولا أن أدلي برأي كيف شئت، ولا أن أدلي بقرار ولا بصوت كيف شئت، إنما يلزمني

أولاً أن أسأل ما الذي يُرضي عني ربي؟ ما الذي يرضاه ربي حتى أفعله؟ فكل هذا من لوازم العبودية، ومن لوازمها وأنتم تعلمون أن العبد في الدنيا يحب أن يرضى عنه سيده، إذا كنت تحب أن يرضى عنك ربك فانظر ماذا يريد منك ربك، ولن يتأتى لك هذا إلا بالنظر في كتاب الله والنظر في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلزاماً أن تنظر في كتاب الله، ماذا يريد الله مني؟ عن أي شيء ينهاني؟ ما الذي يذكرني به ربي؟ لزاماً أن تنظر في كتاب الله، إذا حدثت لي بلية كيف المخرج منها من كتاب ربي؟ كيف أرشدني الله للخروج من هذه البلية وتلك الفتنة؟ وهكذا دوماً فقد أنزل الله على عبده الذين رضوا به أنزل عليهم كتاباً يهتدوا به فيه شفاء لما في الصدور، بصائر لهم يستبصرون بها نورٌ لهم يستضيئون به، فلا مفك لنا ولا مفر ولا محيص ولا مهرب من كتاب ربنا.

لزاماً أن نقرأ كتاب ربنا، ننظر ماذا يريد منا ربنا؛ لأن أقواماً سيأتون يوم القيامة يسألهم ربهم: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65)﴾ [القصص: 65]. قال تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (66)﴾ [القصص: 66]. فلا يليق بك والقرآن بين يديك أن يسألك ربك ماذا فعلت في أوامري؟ تقول: "يا رب، لا أدري ما أوامرك" كيف ذلك وكتابي بين يديك، ورسولي أرسل إليك، وكذا سنته بين يديك، فكان لزاماً أن نلجأ إلى كتاب الله، نتلوه، نتدبره، نتفكر فيه، نعمل به، نتعلمه، نعلمه للناس، فهو مبارك علينا، عند تعلمه مبارك، تحظى بالحسنات عند تعلمه، عند تلاوته مبارك، عند تدبره مبارك، عند العمل به مبارك، في القبر مبارك عليك، عند لقاء الله يدافع عنك ويشفع لك، فكان لزاماً أن نلجأ إلى كتاب ربنا، ننظر ما الذي يأمرنا به ربنا، وما الذي ينهانا عنه، وما الذي يذكرنا به، فلذلك أتناول آيات من كتاب الله بها تُهذب الأخلاق وتزكى النفوس، فمطلوب منا أن نسعى لتزكية نفوسنا، ليست التزكية التي هي المدح والإطراء إنما التزكية التنقية من الشوائب وتخليصها من الآفات، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)﴾ [الشمس: 9-10]. وتتأتى هذه التزكية ابتداءً بسؤال الله إياها، قال رسولكم الأمين -عليه الصلاة والسلام- في دعائه: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا». فكان لزاماً أن تجعلوا من أذعيتكم سؤال الله أن يزكي لكم نفوسكم، ربنا ﴿لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: 10]. «اللهم نق قلبي من الذنوب والخطايا بالماء، والثلج، والبرد كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس».

فجدير بكم أن تسألوا ربكم ذلك، ثم كتاب الله به تزكو النفوس، أذكر بآيات من سورة فصلت بها يُرسم منهج حياة، بها تطلع على ما هو أنت -بإذن الله- كأنك تراه، فالذي أخبر به هو الحكيم الحميد، قال تعالى مذكراً: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19)﴾ [فصلت: 19]. المعنى: واذكر يوم يُجمع أعداء الله إلى النار يُرد أولهم على آخرهم فيكونون صفاً ويُدفعون إلى النار دفعاً، اذكر هذه المناظر لا تنساها؛ فإن ذكرك لها يحملك على الاستقامة، ولقد من الله على بعض أنبيائه كإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب فقال: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45)﴾ [ص: 45]. يعني الأقوياء العلماء ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: 46]. أي: ميزناهم بميزة، ما الميزة؟ قال تعالى: ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾. أي: كثرة تذكر الدار الآخرة، فاذا ذكر الدار الآخرة تهون عليك المصائب، وتهون عليك البلايا، وتورتك زهدًا في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لِمَ لَجُودِيهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21)﴾ [فصلت: 19-21]. فاذا ذكر دومًا أن عليك رقباء، أن عليك شهداء، عينك التي صدرت منها الخائبات تشهد عليك، رجلك تشهد عليك، يدك تشهد عليك، لسانك يشهد عليك، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يَقُولُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِرَبِّهِ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟، فيقول الله له: بلى، قد أجرتك، يقول: يَا رَبِّي إِنِّي لَا أَجِيرُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي». يعني لا أقبل شهادة أي شخص عليّ، إذا تقبل شهادة من؟ قال: "لا أقبل إلا شهادة نفسي؛ أنا الذي أشهد على نفسي وإلا فلا أقبل شهادة أي شاهد"، «فيقال له: لَكَ ذَلِكَ، فَيُحْتَمُّ عَلَى فِيهِ». يختم على فمه «فَتَنْطِقُ فَخَذَهُ بِمَا أَحَدَتْ». عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا، يفاجأ أن الفخذ شهدت عليه، تلك الفخذ المحيطة بالعضو الذي ترتكب فيه المحرمات إذا بها تشهد عليه، والجلد كذلك.

قال فريق من العلماء ﴿وَقَالُوا لِمَ لَجُودِيهِمْ﴾. أي: لفروجهم ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾. وجلود الفروج داخلة أصالة في الجلود التي تشهد، ثم وبعد أن تنطق فخذها، تنطق سائر أركانها، الأيدي تنطق، اللسان ينطق، الرجل تنطق، كل الجوارح تنطق، فيقول متعجبًا وقد رأى نفسه تشهد عليه: «سُخِّقًا لَكِنَّ وَبُعْدًا فَعَنَكُنَّ كُنْتُ أَنَا ضَلُّ عَنكَ كُنْتُ أَدَافِعُ». قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِمَ لَجُودِيهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. فأيقن بذلك، أيقن بذلك يا عبد الله، أيقن أن جوارحك تشهد عليك، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9)﴾ [البلد: 7-9]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24)﴾ [النور: 24]. فأيقن بذلك، لا تظن أنك إذا خلوت وارتكبت المعاصي أن أحدًا لن يراك، بل أيقن بقول ربك: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (15)﴾ [القيامة: 14-15]. عدد من المفسرين لا بأس به ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾. أي: شاهد على نفسه ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾. ولو أرخيت عليه ستوره وأغلقت عليه أبوابه فإنه بصير على نفسه، هذا المعنى يتكرر في كتاب الله فلا تغفل عنه ﴿وَقَالُوا لِمَ لَجُودِيهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوْتُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (24)﴾ [فصلت: 21-24]. ما وجه قوله -سبحانه-: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾؟ يقول العلماء في ذلك إن أهل النار إذا دخلوا النار يتألمون أشد الألم

فيصيحون أشد الصياح، يصرخون أشد الاصراخ، فلا يُجدي، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرُخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: 37]. فيقال لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

الشاهد: أنهم يصرخون أشد الاصراخ فيرون الصراخ لا يُجدي، فيقولون: "تعالوا نصبر، نتحمل النار ولا نصيح، لعل الصبر يخفف الألم"، فيصبروا زمانًا فلا يخف عنهم الألم فيقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ (21) [إبراهيم: 21]. وحينئذ يقف الشيطان في النار ويخطب خطبته النارية، يقول الشيطان: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم: 22]. ما أنا بمغيتكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أيها الإخوة، يقول ربكم -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَلْبِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (25) [فصلت: 25]. قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾. أي: جعلنا لأهل الضلال والغفلة عن ذكر الله قرناء، وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (36) [الزخرف: 36]. فانتبه إذا غفلت عن الذكر صاحبك شيطان، وبحسب انصرافك تقوى شوكته، إذا غفلت عن التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير تسلط عليك شيطان، إذا غفلت عن القرآن تسلط عليك شيطان مارد، إذا رميت بالقرآن خلف ظهرك تسلطت عليك مرده الشياطين وعظماؤها وكبرائها.

قال تعالى: ﴿وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: 175]. فماذا كان لما انسلخ من الآيات؟ ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾. وقال تعالى ما قد سمعتم: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ (37) [الزخرف: 36-37]. فجدير بك أن تكثر من ذكر الله، وأن تكثر من تلاوة كتابه حتى تُحفظ من شياطين الإنس ومن شياطين الجن على السواء.

جدير بك أن تكثر من ذكر الله والاعتصام بكتابه حتى تُحفظ، وكذلك تُحفظ من شياطين الإنس، فعليك بانتقاء صحبة صالحة تذكرك بالله إذا غفلت، وتُعينك على الطاعات إذا قصرت، إذا أخفت عن وصل الرحم يذكرك صاحبك الصالح لما يا أخي فرطت في صلة رحمتك؟ لما لم تكرم أمك، وأباك، أو أختك، وأخاك؟ صديقك الصالح يقودك إلى اتباع جنازة، إلى عيادة مريض، إلى أمر بمعروف، إلى نهي عن منكر، صديقك الصالح يذكرك في غيابك ويذكرك في غفلتك، فاحرص على النظر في أصدقائك الذين تصادقهم، هل هم أصدقاء طيبون صالحون يعينونك على طاعة الله ويعينونك على وصل الأرحام وبر الوالدين أم هم أصدقاء سوء يقودونك إلى المحرم وفعل ما يسخط الله -عَزَّ وَجَلَّ- عليك؟ فكر في أصدقائك فصديق سوء

بالشمال؟ كيف بي أمام الميزان؟ هل تثقل صحيفة حسناتي أم صحيفة سيئاتي؟ فإذا نظر إلى ما هو أتٍ اجتمعت عليه الهموم، وإذا نظر إلى ما قد فات إلى الأولاد، والبنات، والزوجات، والضيعات يقول من لأولادي هؤلاء؟ من لبناتي هؤلاء؟ كيف ستفعل زوجتي؟ كيف العمل في تركتي؟ ينظر إلى الأمام فيرى مزعجات، وينظر إلى الخلف فيرى مزعجات حينئذ تلتف الساق بالساق ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (30) ﴿[القيامة: 30]﴾. تنزل الملائكة على أهل الإيمان ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: 30]. لا تخافوا مما هو أت، ولا تحزنوا على ما قد فات ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (31) نُزُلًا ﴿[فصلت: 31-32]﴾. أي: إكرامًا ﴿مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾. أما أهل الباطل فالملائكة تتلقاهم عند الاحتضار بالضرب على الوجوه والأدبار، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال: 50]. أي: لرأيت منظرًا عظيمًا ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51) ﴿[الأنفال: 50-51]﴾.

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾. يا أهل الإيمان ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (32) ﴿.

ثم يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: 33]. ليس هناك شخصٌ أحسن قولاً من شخص يدعو الناس إلى طريق الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾. يدخل فيه أصالة -، كما قال جمهور المفسرين- ذلكم المؤذن الذي يقول: "حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ" بعد الشهادتين فهذا داخل في الآية الكريمة أصالة.

وقد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «الْمُؤَدِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ويدخل فيه كذلك كل من دعا إلى طريق الله -سُبْحَانَهُ-، فغبروا أقدامكم أيها الإخوة في الدعوة إلى طريق الله؛ إذ هي سبيل رسولكم وأتباع رسولكم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108]. تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾. وأتبع الدعوة وصاحبها بالعمل الصالح فلم ينقض قوله بفعله، بل أتبع القول وصاحبه بالفعل ﴿وَعَمَلٍ صَالِحًا﴾. ولم يتوارى ولم ينخس، بل أعلنها صراحة ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. فأعلنوها فانتم مسلمون، أعلنوا أنكم تريدون الإسلام، أنكم تريدون كتاب الله وسنة رسوله.

إذا كان النصراني القمص، وإذا كانت المرأة والفتاة النصرانية المتبرجة تعلق الصليب في يديها وفي رقبتها مفتخرة بهذا الباطل، ألا يليق بكم يا أهل الحق يا أهل الإسلام أن تعلنوا عن هويتكم، وأنكم تريدون شرع الله، وتريدون كتاب الله، وتريدون سنة رسول الله، فكونوا أئمة في الحق، ولا تكونوا ذيولاً، تقدموا قدمًا إلى ما يرضي ربكم عليكم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (33) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴿[فصلت: 33-34]﴾. لا تستوي كلمة لا إله إلا الله مع كلمة الشرك، ولا تستوي الطاعة مع المعصية، ولا يستوي العفو عن الناس مع ظلمهم أبدًا، أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا؟ لا يستونون

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)﴾ [القلم: 35-36].
﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

إذا سبك شخص قابل مسبته بعفو، عفا الله عنك، غفر الله لك، إذا بلغتك عن أخيك مسبة ومن أخيك مسبة قابلها بالتجاوز والعفو والإحسان، عفا الله عن أخي، واذكر إذا رأيت من أخيك بدعة اذكر فضل الله عليك إذ لم يجعلك بذيئاً، ولم يجعلك فاحشاً ولا متفحشاً، فاحمد الله على السلامة أنك لست ببذيء ولست بسفيه، فقابل الإساءة بإحسان، وقابل المظلمة بعفو، قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ يتحول إلى صديق حميم ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُقَالُهَا﴾ [فصلت: 34-35]. أي: ولكن ما يلقي هذه المنزلة السامية العالية ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35) وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36)﴾ [فصلت: 35-36].

فهكذا أمرنا في التعاملات، تعاملات مع شياطين الإنس بعفو وصفح وإحسان، وتعاملات مع شياطين الجن بالإستعاذة بالله، وذلك مثبت في جملة من المواطن في كتاب الله، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199) وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200)﴾ [الأعراف: 199-200]. وهكذا في سورة المؤمنون آيات شبيهات بهذه الآيات.

فتخلقوا بالخلق الكريم، خلق العفو خلق الصفح عن أهل الإسلام عن أهل الإيمان، وكذا تعوذوا بالله من شياطين الإنس والجن، قابلوا الإساءة بإحسان، قال نبيكم محمد: «ثلاثة أفسم بالله عليهن؛ ما نقصت صدقة من مال، وما تواضع أحد لله إلا رفعه، وما زاد الله بعبدٍ عفواً إلا عزاً».

﴿اسْتَعِزُّوا بِرَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10)﴾ [نوح: 10].

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة، عبوديتكم لله تقتضي أن تتآخوا فيما بينكم، فربكم يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]. فليس لكم خيار في هذا، لزاماً أن تتآخى مع المؤمنين، حتى إن قتل لك قتيل فالقتل لا يقطع الإخوة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: 178]. في باب الخطوبة: «لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه». في باب البيوع: «لا يبيع أحدكم على بيع أخيه، ولا يسوم أحدكم على سوم أخيه، أرأيت إن أخذ الله الثمرة، فبم يستجل أحدكم مال أخيه؟». «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

فلزاماً أن تتآخوا فيما بينكم، ليس لكم خيار في ذلك، ليس لكم خيار في التآخي، فأنتم إخوة، إن حصلت خصومات ربكم يعلم المصلح منكم من المفسد، فاسعوا جاهدين للإصلاح، إن سمعت عن أخوين مسلمين تخاصما فاسع للإصلاح

بينهما ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾. لا تفرح إذا دبت خصومات بين إخوانك، لا تفرح، إن فرحت فأنت للشيطان تبع، بل اجتهد في الإصلاح، واجتهد في التقريب بين إخوانك المسلمين ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: 114]. هذه حقوق عليكم لإخوانكم. أيها الإخوة، الكبير فيكم له حق على الصغير «ليس منا من لم يُوقِرْ كبيرنا». الصغير من حقه أن يُرحم وأن يُرفق به كذلك، فكل له حق على الآخر، فأدوا الحقوق إلى أهلها.

إخواني، ونحن في هذه الأونة تنتشر الشائعات كما ترون، فنتبثوا من الأخبار، نتبثوا من الأخبار غاية التثبت، فثم إعلام فاسد قام عليه أقوام أهل فسق وأهل فجور إلا من رحم الله، يبيثون الشائعات ويبيثون الأكاذيب حتى لو استطاعوا أن يلفقوا للشخص تهمة أنه وقع على أمه أو على أخته لفعلوا وما ترددوا، فنتبثوا من الأخبار التي تُلقى على مسامعكم، فثم مرجفون يرجفون بين الناس، فانتبثوا على دينكم، وقد أمركم ربكم بالتثبت إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (6) [الحجرات: 6]. ولقد قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (12) [النور: 12]. فنتبثوا من الأخبار التي تُلقى عليكم، لا تقبلوا كل خبر يُنشر، فالمرجفون كانوا في مدينة رسول الله يخوفون الناس ويوعدون الناس، وقد توعدهم ربي وتهدهم بقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (60) [ملعونين] أَيْنَمَا تُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا (61) [الأحزاب: 60-61].

فنتبثوا من الأخبار، واحفظوا أخوتكم لبعضكم البعض، وإياكم وسلوك سبيل الطعن في العلماء، والطعن في الفضلاء، والطعن في إخوانكم، فكما قال الرسول - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «كُلُّ الْمَسْلِمِ عَلَى الْمَسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ». وقال تعالى: ﴿وَلَا يَعْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: 12]. لقد قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِبِاقِوَامٍ لَهُمْ أَطْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَحْمُسُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ». فالمغتتاب سيمزق وجه نفسه حتمًا، المغتتاب سيمزق وجه نفسه حتمًا، وستؤدي الحقوق إلى أهلها لزامًا، فغريب أمرك؛ تقوم تصلي، وتصوم الاثنين والخميس، وتتصدق وتهدى لشخص حسنات وهو في بيته نائم! إنك إذا اغتتبه تحول من رصيد حسناتك لرصيد حسناته وهو نائم في البيت، نائم مضطجع والحسنات تأتيه من صلاتك التي صليت،

من صومك الذي صمت، من صدقتك التي تصدقت، تذهب حسنات منك إلى من اغتبتة، وأحسن الحسن البصري إذ قال له قائل: "لما تغتابني يا حسن؟"، قال: "سبحان الله، كنت أعقل من أن أغتابك، من أن أصدر حسناتي إليك وأنت في بيتك".

إن المغتاب يملأ بطنه من النتن، يملأ بطنه من القذر، يملأ بطنه من لحوم الميتة، ومن ثم هذا الامتلاء ينعكس على قلبه فيفكر بطريقة سيئة، ويظن ظنونًا سيئة، ويخرج من لسانه كلمات سيئة، إن ربنا -سُبْحَانَهُ- ذكر في كتابه الكريم أن المغتاب يأكل لحم أخيه ميتًا، هل يليق بك أن تأكل جيفة أخيك الميت؟ إن حسان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَقَا عَنْهُ- لما طعن في عرض عائشة واتهمها مع من اتهموها، وأظهر الله براءتها، طفق يثني عليها بقوله:

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُرَنَّ بِرَبِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْتَى مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ

ومعنى قوله "وَتُصْبِحُ غَرْتَى" أي: تصبح جائعة؛ لأنها لم تأكل لحومًا ميتة، لم تأكل لحومًا ميتة بطعنها في الأعراض، فتجيب عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: "ولكنك يا حسان لست كذلك" لما قال لها: "وَتُصْبِحُ غَرْتَى مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ"، قالت: لكنك لست كذلك، تعني أنك ملأت بطنك من لحم أختك الميتة، أكلت منها، الشاهد: أن المغتاب يأكل من لحم أخيه الميت، وسيأتي ذلك إذا لم يتب إلى الله ولم يغفر الله له سيأكل لحومًا ميتة متقرزة مستقدرة في النار -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-، فتوبوا إلى الله من الاغتيا ب والطعن في الأعراض، وتوبوا إلى الله من الهمز واللمز، وتوبوا إلى الله من كل ما صدر منكم من الخطايا علمتموها أم جهلتموها، إن نبيكم كان يقول في سجوده: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي سِرِّيَّ وَجَهْرِيَّ، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، لَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

أيها الإخوة، أنتم مقدمون على انتخابات، وهي مسؤولية بين يدي الله، فاخترتوا من يقربكم من الله، اخترتوا من يأخذ بأيديكم إلى مرضات الله، فالدنيا زائلة والدنيا منتهية، والدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون، فالذي يقربنا من الله نفعه، والذي يباعدنا من الله نبتعد عنه، لزامًا ليس خيارًا الذي يقربنا من الله نفعه، والذي يباعدنا من الله نبتعد عنه.

إخواني -بارك الله فيكم-، بلادكم تحتاج إلى أمن وأمان، ولن يتم لها الأمن ولا الأمان إلا بتقواها لله واستقامتها على أمر الله، فنسأل الله أن يجعلنا من المستقيمين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين،

اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم خذ بأيدينا ونواصينا للبر والتقوى، اللهم خذ بأيدينا ونواصينا للبر والتقوى، اللهم مسكنا بالعروة الوثقى حتى نلقاك، اللهم اجعل بلادنا مصر آمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين، اللهم يا ربنا اجعل كلمتك هي العليا يا رب العالمين، وأحلل ببلادنا أمنها من عندك يا رب العالمين، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم إنا نسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد في أعلى جنة الخلد، اللهم ﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201)﴾ [البقرة: 201]. اللهم احفظ علينا أخوتنا، اللهم احفظ علينا أخوتنا، اللهم احفظ علينا أمننا وإيماننا، اللهم احفظ علينا ديننا وإسلامنا يا رب العالمين، يا ربنا ألقنا بمن أنعمت عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، واقض الدين عنا وعن المدنيين، اللهم آمين.

إخواني، معكم ملائكة تشهدكم تثبت صلاتكم وسلامكم على نبيكم في صحائف أعمالكم، وتبلغ نبيكم منكم السلام، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إِنَّ لَهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ». فصلوا على نبيكم وسلموا وتسليماً. وأقم الصلاة.

يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي: 

<https://www.youtube.com/channel-UckL2vNPCvXU1niLe7KhKFXg>

رابط الخطبة: 

<https://www.youtube.com/watch?v=g0v2Zd5TKkc&list=PL92HwYx3aJlvJO3ewL3GHuCxcMuOShRNy&index=>

رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك: 

<https://www.facebook.com/groups-1258020111019067/?ref=share>